

**التناسب وأثره في فهم الآيات العقائدية**  
**Proportionality and its impact on**  
**understanding doctrinal verses**

زينب حميد هذال

**Zainab Hamid Hathal**

مديرية تربية الأنبار

**Anbar Education Directorate**

**[Ziinab.hamed@gmail.com](mailto:Ziinab.hamed@gmail.com)**

الكلمات المفتاحية: التناسب، الأثر، العقيدة.

**Keywords: proportionality, impact, doctrine.**



## الملخص

يُعتبر التناسب التركيبي من الأدوات البلاغية والدلالية المهمة في تحليل النص القرآني، خاصةً في الآيات التي تتعلق بالعقائد. فيظهر هذا التناسب بوضوح في تقديم أساسيات الإيمان والتوحيد، إذ تأتي الجمل الاسمية الثبوتية غالباً، وتكون ذات إسناد قوي كما في قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ)، وذلك لإيصال فكرة الثبات والاستمرارية في إثبات الصفات والربوبية. ويسهم هذا الأسلوب في ترسيخ المعاني في النفوس ويبرز أهمية الاعتقاد، مما يجعل النحو مرتبطاً بشكل مباشر بالمعنى العقدي وليس مجرد مجموعة من القواعد الشكلية. وتتسم هذه المنهجية القرآنية بشموليتها في تقديم العقيدة، إذ لا يوجد انفصال بين جمال التعبير وعمق المعنى. كما تفتح آفاقاً واسعة للمفسرين والباحثين لفهم أعمق للنص، يتجاوز المعاني المعجمية إلى المعاني السياقية والبيانية.

## Summary

Syntactic proportionality is considered one of the important rhetorical and semantic tools in analysing the Qur'anic text, especially in verses related to beliefs. This symmetry is clearly evident in the presentation of the fundamentals of faith and monotheism, where nominal sentences are often used and have a strong basis, as in the words of Allah: "Say, "He is Allah, [who is] One,; Allah, the Eternal Refuge." in order to convey the idea of stability and continuity in proving the attributes and lordship of Allah. This style contributes to the consolidation of meanings in the soul and highlights the importance of belief, making grammar directly related to doctrinal meaning and not just a set of formal rules. This Qur'anic methodology is characterised by its comprehensiveness in presenting doctrine, where there is no separation between the beauty of expression and the depth of meaning. It also opens up broad horizons for interpreters and researchers to gain a deeper understanding of the text, going beyond lexical meanings to contextual and figurative meanings .

## مقدمة:

يعد موضوع التناسب في القرآن الكريم من أرقى موضوعات الدراسات البلاغية والبيانية، لما يكشفه من اتساق النص القرآني وتماسكه على مستوى الآيات والسور. وهذا التناسب يتجلى بشكل خاص في الآيات العقائدية التي تتناول أصول الإيمان والتصور الإسلامي للوجود، إذ يظهر الترابط العضوي بين الصياغة اللغوية والمضمون العقدي، مما يعزز قوة الخطاب القرآني في إقناع العقل وتأثيره في القلب. وسيتناول هذا البحث تناسب التركيب في الآيات العقائدية، من خلال مبحثين رئيسيين: الأول يتناول الإطار النظري للتناسب وأسسه، والثاني يعرض التطبيقات العملية في نماذج من الآيات العقائدية.

### المبحث الأول: التناسب التركيبي في القرآن الكريم

يعد علم التناسب أحد الأسس المهمة في بيان جمال التعبير القرآني اللغوي، وأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط (الرازي، ١٤٢٠هـ: 110/10) وأن نسبة هذا العلم من علم التفسير، كنسبة علم المعاني والبيان من النحو، فهو غاية العلوم (البقاعي، ١٤٠٨هـ: 142/1) لذا، فإن هذا العلم حظي باهتمام كبير من قبل العلماء، الذين اعتنوا به تحقيقاً ودراسةً وتحليلًا وبحثًا معمقًا. وستنطرق هنا إلى دلالة مفهوم التناسب في اللغة واصطلاح، مع تقديم لمحة موجزة عن هذا العلم، وبالإضافة إلى توضيح فائدته وأبرز أنواعه، كما سيأتي بيانه في موضعه المناسب.

### المطلب الأول: مفهوم التناسب اللغوي والتركيب

#### التناسب لغةً:

أي أنه نسب: النَّسَبُ في القرابات. فلان نسيبي، وهؤلاء أنسابي. ورجل نسيب منسوب: ذو حَسَبٍ ونَسَبٍ (الفراهيدي: 7/ 271) وأن النسب: النون والسين والباء أصل لغوي واحد يدل على ارتباط شيء بشيء واتصاله. ومنه النَّسَبُ، سُمِّيَ بذلك لكونه متصلًا، ولتحقق الاتصال به. يقال: نَسَبَ يَنْسِبُ، وهو نسيبُ فلان. ومن هذا المعنى النسيب في الشعر المتعلق بالمرأة، فكأنه ذَكَرَ يتصل بها، ولا يُسْتَعْمَلُ إلا في شأن النساء. ويقال فيه أيضًا: نَسَبَ يَنْسِبُ. والنسيب هو الطريق القويم، لأن أجزاءه متصلة بعضها ببعض (ابن فارس، ١٣٨٩هـ: 424/5) فالتناسب بين الشئيين يدل على التقارب بينهما أي اتصال الشيء بالشيء، وأن لفظة التناسب تحمل في طياتها معنى المشاكلة والتقارب والاتصال، سواء كان في الألفاظ أو المعاني وتدل المناسبة على المشابهة والمماثلة؛ فيقال: بين الشئيين مناسبة وتناسب، أي توافق وتشابه. وكذلك قولهم: لا نسبة بينهما، أو بينهما نسبة قريبة، أي وجود تقارب أو عدمه بين الشئيين (الزبيدي، ١٣٨٥هـ: 265/4).



ويعمق دلالاتها ومعانيها. ثم أن التناسب يعدّ وجهاً من أوجه الإعجاز القرآني، إذ يبرز بلاغة النص القرآني، ويؤكد ترابط سياقاته ومعانيه، ليصبح من أهم عناصر الإعجاز والجمال في القرآن الكريم.

### المطلب الثاني: أقسام التناسب التركيبي في القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم على لغة العرب؛ لذلك، درج على استعمال الأساليب والتراكيب العربية، في تفسيره وفهمه وتناولت ما يكتنزه كتاب الله من مكونات دلالية وأسرار لغوية، فقد تبارت أقلام العلماء قديماً وحديثاً في بيان ما يحمله من مناسبات وارتباطات بين أجزاء تراكيبه، وحسب أدوات البحث والتنقيب المستعملة، تباين نتائجهم أحياناً في بيان وجوه الارتباط بين أجزاء النظم والتناسب بينها، وكلا حسب تفاوت القرائح والملكات في تأمل النظم والتراكيب العربية التي استخدمها النص، وتحليله لهذه التراكيب ووجوه التناسب بينها.

### يمكن تقسيم التناسب التركيبي إلى عدة أنواع، منها:

1. التناسب الصوتي: وانصرفت عناية القرآن الكريم إلى إنكاء حرارة اللفظ في وجدان العرب، وإشاعة توهج العبارة في أفق حياتهم، مع حرص البيان القرآني على إرساء موسيقى الألفاظ في جملة، وتناسق الحروف في بنائه، وتوازن الوحدات الصوتية في مقاطعه؛ فجاءت مخارج الكلمات معتدلة النبر، وتراكيب البيان منسجمة الأصوات. ولذلك اختير لكل مقام مقصود ألفاظه الملائمة التي لا يقوم غيرها مقامها، فعدا كل لفظ منسجماً مع صورته الذهنية من جهة، ومع إيحائه السمعي من جهة أخرى. فما يطرب له السمع، وتطمئن إليه النفس، وتتقاد له العاطفة، يتحقق في العذوبة واللين، وما تستشعره النفس هيباً أو نفوراً يتجسد في الزجر والغلظة. وهنا يوقظ القرآن الأحاسيس الباطنة لدى الإنسان، مثيراً الانفعال الناتج عن مناخ الألفاظ المنتقاة في مواضعها، بما تبيته من أثر نفسي إيجاباً أو سلباً. كما أن استقلال كل كلمة بحروف مخصوصة يمنحها نكهة صوتية سمعية متفردة، تميزها. بلا شك. عن غيرها من الألفاظ المؤدية للمعنى نفسه، فيكون لبعض الكلمات مزية على غيرها، وإن اشتركت في الدلالة. فلكل لفظ خصوصيته الصوتية، إما في قوة الصدى، أو في بعده الصوتي المميز، أو في تعميق المعنى بزيادة المبنى، أو في استمالة العاطفة، أو في استباق التوقع؛ فهو تارة يقرع السمع، وتارة يهيب النفس، وتارة يضفي صيغة التأثر: فزعاً من أمر، أو توجّهاً نحوه، أو طمعاً فيه. وهذا الجو الثري تصنعه الدلالة الصوتية للألفاظ، التي تشكل في القرآن أثره الخاص المتجلي في كلمات مصطفاة، تألفت من حروف مختارة، فأنتجت أصواتاً منتقاة. وتبرز هذه الخصائص في القرآن بجلاء في مئات التراكيب الصوتية، عبر صور متعددة ومجالات شتى، تحتضنها طائفة واسعة من ألفاظه في ظلال مكثفة من الجرس والنغم والصدى والإيقاع (الصغير، 1420هـ: 163-164) ونخلص من

ذلك بأنه: هو توافق الأصوات والحروف في الكلمات المتجاورة، مما يحدث نغمة موسيقية تعين على حفظ المعنى وتثبيتته. ويعد السمع من أجل تلك النعم، أن يتفاعل به مع ما حوله فيستقبل عن طريقه الأصوات والحروف التي تملأ جوانب نهاره وتحيط به من حوله، فالصوت من المسموع الذي يضرب اعصاب سمع الانسان فيدرك بعقله جهته التي صدر منها، ومقصودة الذي انطلق لأجله، فهذا صوت يثير مكامن الخوف، وذلك يدفع به نحو الخشو والعبادة، وذلك يجره نحو الطرب واللهو، وذلك صوت يزعجك أو يعلمك أو يقربك إليه (كطان، 2021م: 2).

2. التناسب الدلالي: الدلالة الصوتية دلالة دقيقة خفية، لا يُدركها على وجهها إلا من أوتي سعة الذوق ودقة الإحساس؛ ومن ذلك دلالة المدّ على امتداد الجدل في قوله تعالى: ﴿تَدْتَحْتُمُ تَهْ ثَمَّ جَدِّمْ حَجَّ حَمَجْ ٨٠﴾ [الأنعام: 80]. وكذلك ما تحمله البنية الصوتية لكلمة (ضَيْرِي) في قوله تعالى: ﴿حَمَّ حَجَّ حَمَجْ ٢٢﴾ [النجم: 22] من إحياء بالنفور من تلك القسمة الظالمة، أو الدلالة الصوتية لكلمة (أَتَأْتَلْتُمْ) في قوله تعالى: ﴿تُرُّ نُرُّ ثَمَّ نُنُّ نِي بُرُّ بُمُّ بِنُّ بِي تَرُّ تَرْتُمُنُّ ٣٨﴾ [التوبة: 38]، بما توحى به من بطء وتكاسل. ومثل هذه الأمثلة كثيرة، تتنبه إليها العلماء المتقدمون، ووقف عندها الباحثون المحدثون وقفة مطوّلة، ولا سيما من أفادوا من المناهج اللسانية الحديثة في دراسة النصّ القرآني. وعلى هذا فالمقصود بالدلالة الصوتية هو ما تبعته أصوات الألفاظ ومخارجها وخصائصها الصوتية من إحياءات تسهم في أداء المعنى ضمن سياق معيّن. وهذه الدلالة لا تتفصل عن سائر الدلالات: المعجمية، والصرفية، والنحوية، والبيانية، بل تتداخل معها وتشاركها في تشكيل المعنى، كما أنها لا تستقل عن السياق؛ إذ إن السياق هو الذي يمنحها قيمتها الدلالية الملائمة له. ومن ثمّ يمكن أن يحمل الدالّ الصوتي دلالات متعددة بتعدد السياقات، مع بقاء اللفظ واحداً، وسيوضح ذلك من خلال الأمثلة الآتية (هنداوي، (3-3)). ونخلص هنا أنه هو الارتباط المعنوي بين الكلمات والجمل، بحيث يخدم كل لفظ ما قبله وما بعده في بناء فكرة متكاملة.

3. التناسب النحوي: ويظهر في مفهوم التقديم والتأخير: لغةً واصطلاحاً قدم وهو لقدم: كل ما قدمت من خير أو شر وتقدمت لفلان فيه قدم أي تقدم من خير أو شر، وقيل: وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع، ويقال: قدم فلان من سفره يقدم قدوماً. وقدم فلان على الأمر إذا أقدم عليه، وقدم فلان إلى أمر كذا وكذا أي قصد له (ابن منظور، ١٤١٤هـ: 471/12) وقال الجوهري: هو التقديم، كأنه قدم خيراً وكان له فيه تقديم. وكذلك القدمة بالضم والتسكين. يقال مشى فلان القدمية، أي تقدم. (الجوهري، ١٤٠٧هـ: 2007/ 5)

أما التأخير لغة فهو: قال ابن منظور هو ضد التقديم (ابن منظور، ١٤١٤هـ: 4/12) وقال الجوهري: أخرته فتأخر. واستأخر، مثل تأخر. والآخر: بعد الأول، وهو صفة (الجوهري، ١٤٠٧هـ: 576/2)

### التقديم والتأخير اصطلاحاً:

ويقوم مبدأ التقديم والتأخير على افتراض وجود نظام أو ترتيب أصلي في البناء اللغوي، يتم تعديله وفقاً للحاجة بتقديم بعض عناصره أو تأخيرها، وهو نظام موجود في جميع اللغات، حيث يهدف إلى إيصال المعنى بدقة وفقاً لمقصد المتكلم (أنيس، إبراهيم، 1966م: 288-291)، وقد نبّه إلى هذا المعنى الدكتور إبراهيم أنيس، إذ يرى أن كل لغة تخضع لنظام خاص في ترتيب ألفاظها، ويلتزم هذا النسق في بناء الجمل والتراكيب، فإذا اختلف هذا النظام في جانب من جوانبه، عجز الكلام عن تحقيق غايته الأساسية، وهي الإفهام. ويتحقق الإفهام من خلال الطريقة التي تُنظّم بها الكلمات داخل البنية اللغوية، الأمر الذي يكسب الجملة بنية دلالية الواضحة (عبدالله، 1411هـ، مقدمة الكتاب). ويُطلق على هذا النسق الحاكم لترتيب الكلمات في التركيب اسم **البنية الأساسية**؛ إذ تبدأ الجملة الاسمية بالمبتدأ ثم الخبر، في حين تُستهل الجملة الفعلية بالفعل، يتلوه الفاعل، ثم المفعول به إذا كان الفعل متعدياً. وفي هذا الإطار، يشير النحاة الأوائل إلى أن لكل جزء من أجزاء الكلمة وظيفة مخصوصة داخل الأسلوب، وله موضع محدد يؤثر في أداء المعنى، حتى إن بعض الباحثين يقرر أن النحاة الأوائل أطلقوا على كل جزء من أجزاء الكلمة اسماً يميّزه، وجعلوا لكل واحد منها موقعاً في التركيب يتحدد بحسب أهميته في توصيل المعنى (حماسة، 2003م، 242) والتقديم هو الذي يقدم شيء على شيء والتأخير هو نقيضه، والمقدم والمؤخر هما أسماء من أسماء الله الحسنى، ونجد التقديم والتأخير يرتبط ارتباطاً وثيقاً ومن ذلك قوله تعالى، فهنا الآية الكريمة تشير وتؤكد على أنّ العبادة لله وحده؛ وذلك لأنّ العبادة في قوله تعالى ﴿نم نى ني ٢١﴾ [البقرة: 21] وذلك لأن لفظ العبادة في الآية للدلالة على التوحيد (الكرمانى، 1411هـ: 114) والتوحيد أول ما يلزم العبد من المعارف، فكان هذا أول خطاب خاطب الله به الناس في القرآن، فخاطبهم بما لزمهم (الكرمانى، 1411هـ: 67/1) ثم بيّن سائر المعارف وبنى فوقها العبارات ورتب بعدها في السور والآيات، وإن القرآن الكريم معجز في آياته وسوره وإعجازه البلاغي، فهو من عند الله عزّ وجلّ لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وترتيب آياته وسوره تدلّ على إعجاز القرآن، وأسراره البلاغية، فالقرآن الكريم آياته هي كلام الله عزّ وجلّ الذي لا يقبل التحريف، وهو معجز ومحفوظ إلى يومنا هذا؛ إذ قال تعالى ﴿... نر نر نر ٣٩﴾ [يوسف: 39] سبقتها أقوى من منظور العقيدة من العبارة تتصل بالألوهية، والألوهية هي رأس العقيدة.. لذلك ناسبها أقوى كلمة وأقوى توكيد

من كلمة (قاهر)، وهي كلمة قهار (القيسي، 1416هـ: 176) لأن الاسم الأول جاء فاعلاً، أما الثاني فكان على صيغة المبالغة. ويلاحظ أن الجرجاني، صاحب نظرية النظم، يتركز على القواع النحوية ويربطها بالمعنى، حيث ينسج النظم في الجملة وفقاً للمعنى الذي يُمنح الجملة هيكلها الشكلي، متتواً لترتيب الكلمات من حيث التقديم والتأخير (الاحمر، 2001م: 64) ونلاحظ من خلال ما بيّناه من الآيات الكريمة أن القرآن الكريم كله معجز من أوله إلى آخره؛ فهو كلام الله عز وجل، لا يطرأ عليه تغيير أو تحريف، محفوظ في الصدور، وكل حرف في القرآن معجز بذاته، مرتب وفقاً لترتيب الزمان والمكان، ومرتب في السياق، اللفظ، والمعنى، فالقرآن الكريم على اختلاف موضوعاته، إلا أنه مرتبط فيما بينها؛ إذ إن المفسرين أوردوا إلى أن هذه الموضوعات المتنوعة تتصل ببعضها البعض بصلة الوحدة، وكأنها مسبوكة، فلا ينقد فيها لفظ عن آخر، ولا جملة عن جملة أخرى (المرشدي، 2015م: 138)

#### 4. التناسب السياقي:

قال ابن فارس: السين والواو والقاف أصل واحد وهو حدو الشيء، والسيقة (ابن فارس، 1389هـ: 3/ 117) ما استيق من الدواب، والسوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء. وقال ابن منظور: انسقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت وكذلك تقاودت (ابن منظور، 1414هـ: 7/ 304)، والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً. وقال الزمخشري: ومن المجاز هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه أي على سرده (الزمخشري، 1419هـ: 1/ 484). وفي المعجم الوسيط: سياق الحديث تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه (مجمع اللغة العربية، 1392هـ: 1/ 465) نلاحظ مما سبق أن هذه التعريفات تدور على معنى التتابع والتوالي، ويتفق المعنى اللغوي مع المعنى المجازي للسياق، فإذا أطلق على الكلام دل على تتابع ألفاظه وتواليها.

السياق في الاصطلاح: السياق القرآني: تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء (المطيري، 2008م: 71) المعنى. والملاحظ أن هناك اتصالاً بين المعنى اللغوي والاصطلاح فالسياق من التتابع والانتظام والاتصال، وسياق القرآن تتابع الكلمات والجمل القرآنية وانتظامها واتصالها لتأدية المعنى. وهو انسجام التركيب مع السياق العام للسورة والموضوع الذي يتناوله. انسجام الألفاظ والتراكيب الواردة ضمن سياق معين، وموافقته لذلك السياق وما يتصل به من مقاصد وأغراض، بوجه من أوجه التناسب النحوي، أو المعجمي، أو التركيبي، أو النصي (عظمي، مج 2، العدد 7، 2018م: 140)

المطلب الثالث: أهمية دراسة التناسب في الآيات العقائدية

فالعقيدة هي ما انعقد عليه القلب واطمأنت إليه النفس من إيمان وتصديق، بحيث يكون ارتباط الإنسان بأمر الله تعالى قائماً على الانقياد التام لها، مع اجتناب نواهيه قلباً وقالبا (دغيم، 1890م: 287) وتعرف أيضاً بأنها الحكم الذي لا يقبل الشك عند من يعتقده، وتطلق على ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كالإيمان بوجود الله تعالى وبعثة الرسل (أبو جيب، ١٤٠٨هـ: 256) ويعود أصل مصطلح العقيدة إلى الجذر اللغوي (عقد)، الذي يدل على الشدة والثبات والارتباط الوثيق، فالاعتقاد (على وزن افتعال) يعني ارتباط القلب بما استقر فيه والتزمه، وهو أقوى من مجرد العهد، إذ يقال: (عقدت عليه) و(عاقدته)، أي ألزمته باستيثاق، أما العهد فيقال: (عاهدت فلانا بكذا)، أي ألزمته إياه، ولذلك يقال: (عاهد العبد ربه)، ولا يقال: (عاهد العبد ربه)، لأن ذلك يتضمن معنى الاستيثاق من الله، وهو أمر لا يجوز، كما تعرف العقيدة بأنها الحكم الذي لا يقبل الشك عند من يؤمن به، وفي السياق الديني يراد بها الاعتقاد المجرد عن العمل، كالإيمان بوجود الله تعالى وبعثة الرسل (عبد المنعم، ١٤١٩هـ: 416) وتكتسب دراسة التناسب التركيبي في الآيات العقائدية أهمية خاصة للأسباب الآتية:

1. تبرز المناسبة تكامل الخطاب العقدي، وتكشف مراتب القضايا وأهميتها؛ وقد مثل لذلك الدكتور طارق مصطفى بقوله: إن من أمثلة ذلك الوقوف على سر اقتران طاعة الرسول ﷺ بطاعة الله تعالى في مواضع كثيرة من القرآن، ودلالة مجيء الزكاة عقب الصلاة في عدد من الآيات، وبيان منزلة الإحسان إلى الوالدين إذ ورد بعد الأمر بالتوحيد في أكثر من موضع (حميدة، 2007م: 58). كما ينقل الدكتور محمد عناية الله سبحانه عن الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي قوله: لقد تعاضم عندي شأن سورة الجمعة حين تبين لي كيف مهّد الله لها بذكر تسبيح ما في السماوات والأرض، وذكر صفاته الحسنى، وفضله على الأمة، وبيان خسارة اليهود لاستهانتهم بحكم الله؛ فكان في ذلك ترغيباً يتبعه ترغيب، ثم ترهيب، ثم أعقب ذلك بذكر أحكام الجمعة (سبحاني، 2003م: 19). وبذلك يتضح أن العقيدة الإسلامية تقوم على بناء محكم مترابط، وأن التناسب في التركيب يعكس هذا الترابط ويؤكد.

2. تقوية الإقناع: ومن وجوه أهمية علم المناسبات إزالة ما قد يُتوهم من وجود التكرار في القرآن الكريم؛ فقد تناول عدد كبير من المفسرين والبلاغيين قضية التكرار، وبينوا أن القرآن منزّه عنه، وأن ما يبدو فيه شبيهاً بالتكرار إنما هو من باب التشابه لا الإعادة الخالية من الفائدة. وقد أشار البقاعي إلى دور التناسب في دفع هذا الوهم، فقال إن به تتكشف أسرار تكرار القصص، إذ لا تُعاد القصة في سورة إلا لغرض خاص اقتضاه سياقها، ويُستدل بها على معنى غير الذي سبقت له في موضع آخر (البقاعي، 1389هـ: 8/1). ويقول الشيخ سيد قطب إن الناس قد يظنون وجود تكرار في القصص القرآني لتعدد مواضع عرض القصة الواحدة في سور مختلفة، غير أن

التأمل الدقيق يثبت أن القصة أو الحلقة منها لا تتكرر في سورة واحدة من حيث مقدار العرض أو أسلوب الأداء في السياق، وأنه كلما أعيد ذكر حلقة منها جاءت بإضافة جديدة تنفي حقيقة التكرار (سيد قطب، 1412هـ: 64/1). وبذلك يسهم تناسب العبارات في تثبيت المعنى في النفس، وتعميق الأثر الإيماني.

3. التناسب عامل فعّال في إبراز الإعجاز البياني للقرآن وأحد ركائزهاالتناسب، كما ذكر، يعد من أبرز وجوه الإعجاز القرآني، ودليلاً إضافياً على ربانية هذا الكتاب العظيم، وأنه كله معجز؛ فقد أشار البقاعي إلى ذلك بقوله: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب، إذ إنه يبين أن للإعجاز طريقتين: أحدهما ترتيب كل جملة بحسب تركيبها الداخلي، والثاني ترتيب الجمل مع بعضها بالنظر إلى السياق الكلي" (البقاعي، 1389هـ: 7/1). كما قال الشيخ أبو بكر النيسابوري: "إن الإعجاز البلاغي للقرآن يعود أساساً إلى هذه المناسبات الخفية والقوية بين آياته وسوره، حتى يبدو القرآن كله كأنه كلمة واحدة من حيث الترتيب والترابط" (بسيوني، 1326هـ: 39/1). ومن ثم، فالقرآن معجزة بيانية متكاملة، ويُعد التناسب التركيبي أحد أبرز أوجه هذا الإعجاز، خصوصاً في صياغة أصول العقيدة التي تتطلب دقة فائقة (الخطيب، 2002م: 78/1).

4. ردّ الشبهات: فهم مراد الله تعالى في كتابه يتطلب الحرص على تجنب اللبس والخطأ والمبالغة في التأويل؛ فقد أشار الدكتور صلاح الخالدي إلى ذلك قائلاً: إن كثيراً من القدماء والمعاصرين استندوا على هذا الجزء من قوله تعالى على لسان العزيز: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: 28]، معتبرين أنه تقرير إلهي لعظمة كيد النساء، مع أنهم غفلوا عن أن القائل هو العزيز نفسه، وأن ورود قوله في القرآن لا يعني بالضرورة موافقة الله تعالى عليه. وكما هو معروف، اقتبس القرآن كثيراً من أقوال الكفار والمنافقين لبيان الحق أو لتعليم العبرة، علاوة على أن هذا القول عن العزيز يوضح ضعف شخصيته وعجزه أمام انحراف زوجته (الخالدي، 1419هـ: 127/2) فدراسة التناسب تكشف عن اتساق النص القرآني وخلوه من التناقض، مما يدحض الشبهات حول تناوله للموضوعات العقديّة.

**المبحث الثاني: تطبيقات تناسب التركيب في نماذج من الآيات العقائدية**

**المطلب الأول: تناسب التركيب في آيات التوحيد والألوهية**

تظهر روعة التناسب التركيبي في آيات التوحيد، كما في قوله تعالى: ﴿لَخ لَم لى لى ١ مح مخ

٢ مى مي نج نح ٣ نم نى ني هج هم ٤﴾ [الإخلاص: 1-4] حيث نلاحظ:



1- التناسب السياقي: نزلت الآية بعد أحداث غزوة أحد، فكانت مؤكدة لحقيقة النبوة وطبيعتها البشرية، وربطت بين احتمال موت الرسول ﷺ وبين موت الرسل السابقين، أي أن له أسوة بالأنبياء السابقين في الرسالة، وفي احتمال القتل عليه، فقد توفي موسى وعيسى عليهما السلام، وقُتل زكريا ويحيى عليهما السلام، ومع ذلك بقيت ديانتهم على حالها، وتمسك بها أتباعهم. وعليه، يجب عليكم الثبات على الدين والمبدأ كما كنتم، سواء مات أو قُتل الرسول، فهو بشر كسائر الأنبياء، ومهمته تنتهي بانتهاء أجله، وهذا ما يمنح التركيب القرآني قوة ومتانة في مواجهة الواقع (الزحيلي: ٤٣٦هـ: 4/110)

2- التناسب الدلالي: إن النص القرآني لا يتتبع أحداث المعركة للرواية والعرض ولكنه يتتبع دخائل النفوس وخوارج القلوب ويتخذ من الأحداث مادة تنبيه وتنوير وتوجيه والربط بين (مَاتَ أَوْ قُتِلَ) وبين (انفَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)، فالمفارقة بين احتمالين بشريين (الموت الطبيعي أو القتل) وبين ردة الفعل المنكرة (الارتداد) تظهر تناسب التركيب في بيان خطأ تلك الفعلة (قطب، 2003م: 1/466)

3- التناسب التركيبي بين الجمل: الجملة الأخيرة (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) جاءت بعد التحذير من الارتداد، لتكون بمثابة العاقبة الحسنة للمثبتين على الإيمان، فكانت خاتمة متناسبة مع المطع. فهي تتضمن الحقائق الباقية من وراء الأحداث الزائلة، والمبادئ المطلقة من وراء الحوادث المفردة، والقيم الأصيلة من وراء الظواهر العارضة، والرصيد الصالح للتزود بغض النظر عن اعتبارات الزمان والمكان (قطب، 2003م: 1/467)

المطلب الثالث: تناسب التركيب في آيات اليوم الآخر والبعث من النماذج الدالة قوله تعالى:  
﴿لَم لِمَ لِي مَج مَح مَخ مَم مِي مِي ١ نَح نَح نَم نِي نِي هَج هَم هِي هِي يَج يَح يَخ يَم يِي يِي ذُ  
رِي ٢﴾ [الحج: 1-2] وفيه:

1- التناسب بين المطع والخاتمة: القرآن يتميز بدقة فائقة في اختيار ألفاظه، بحيث يُستخدم كل لفظ في المكان الذي يؤديه على نحو مثالي، حتى كأن هذه الكلمة خُلقت خصيصاً لذلك الموضوع دون غيرها، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفاً بين الكلمات، بل تحمل كل كلمة معنى جديداً. فالألفاظ فيه قد تكون قاسية وشديدة عند التهديد والوعيد، ورقيقة وعذبة في الترغيب والتوجيه، وهادئة وجميلة في مواضع التشريع والتفريع (المطعني، 1413هـ: 1/246). ففي الآية، بدأت بالنداء العام: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) والتحذير: (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)، ثم سُردت مشاهد ذلك اليوم المهيّب، وخُتمت بالتعليل: (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)، فكانت العبارة الختامية منسجمة مع المطع، مؤكدة الهول والعظمة (الغزالي، 2008م: 134)

2- التناسب في سرد المشاهد: تصوير الحدث الذي سيأتي في المستقبل كأنه حَدَثٌ جرى فعلاً فيما مضى، فهو يحكي أمراً قد وقع تسلسل المشاهد من الذهول العام (تَذَهُلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ) إلى الخوف الشديد (تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا) إلى وصف الحالة (سُكَارَى)، ثم كشف الحقيقة (وَمَا هُمْ بِسُكَارَى)، فكان التركيب متدرجاً في تصوير الفرع ما اشتمل عليه النص من التقاط لقطاتٍ مثيرات ذوات أهمية من الحدث، وترك الذهن يملأ الفراغات بين اللقطات (الميداني، 1996م:2/346)

3- التناسب في المفردات: استخدام ألفاظ (تَذَهُلُ، تَضَعُ، سُكَارَى) التي تجمع بين قوة المعنى وقوة الوقع الصوتي، المناسبة لوصف حدث مهول كقيام الساعة.

**خاتمة:**

يتضح من خلال هذا البحث أن التناسب التركيبي في الآيات العقائدية ليس أمراً عارضاً، بل هو سمة أصيلة من سمات النص القرآني المعجز. وقد تجلّى هذا التناسب على مستويات متعددة: صوتية ودلالية ونحوية وسياقية. وأظهرت الدراسة كيف أن هذا التناسب يخدم الغرض العقدي، من خلال تقوية حجية الخطاب، وترسيخ المعنى في النفس، وإبراز كمال الصياغة القرآنية. وهذا يؤكد أن القرآن الكريم في عرضه للعقيدة يلتزم بأعلى درجات الاتساق والبلاغة، مما يجعل دراسة التناسب فيه باباً مهماً لفهم أعمق لرسالته الإيمانية، وغرسها في نفوس معتقّيها.

1- يساعد فهم التناسب من الناحية التربوية، في تقديم العقيدة بأسلوب مؤثر يظهر جمالها واتساقها الداخلي، فهي معيّنات لا ينضب لإثراء علم التفسير وعلم الكلام.

2- فالتناسب يعمل على الإقناع الفكري والاستمالة الوجدانية معاً، ولهذا أثر بلاغي عميق في اقرار العقيدة في النفس.

3- إن دراسة العلاقة بين البنية النحوية والمضمون العقدي تكشف أن الصياغة ليست محايدة، بل هي جزء من الرسالة. فاستخدام أسلوب القصر، والتقديم والتأخير، وتكرار الأدوات والحروف في آيات التوحيد يهدف كلها تعمل على تثبيت المعنى في النفس وإبراز عبدة الاعتقاد، مما يجعل النحو خادماً مباشراً للمعنى العقدي وليس مجرد قواعد شكلية.

#### المصادر والمراجع

#### القرآن الكريم

1. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، 1984م، تونس: الدار التونسية للنشر.
2. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة (١٣٨٩هـ)، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

3. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت.
4. الاحمر، مي اليان، التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة، 2001م، بيروت، لبنان.
5. انيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، 1966م، الأنجلو المصرية، مصر، القاهرة.
6. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط1، ١٤٠٨هـ، مكتبة المعارف - الرياض.
7. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر، ١٣٨٩هـ؛ دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند.
8. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، البيان والتبيين (١٤٢٣هـ) دار ومكتبة الهلال، بيروت.
9. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح، ١٤٠٧هـ، دار العلم للملايين، بيروت.
10. جيب، د سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ١٤٠٨هـ، دار الفكر، دمشق، سورية.
11. حماسة، د. محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، 2003م، دار غريب، 242.
12. حميدة، طارق مصطفى محمد التناسب في سورة البقرة، 2007م، جامعة القدس، فلسطين.
13. الخالدي، للدكتور صلاح، القصص القرآني، 1419هـ، دار القلم، دمشق.
14. الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، 2002م، القاهرة: دار الفكر العربي.
15. دغيم، سميح، الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والإسلامي، 1890م، مكتبة لبنان ناشرون.
16. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
17. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس (١٣٨٥هـ) وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.
18. الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (١٤٣٦هـ، دمشق: دار الفكر)
19. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن (١٣٧٦هـ) دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
20. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، ط1، ١٤١٩ هـ: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

21. سبجاني، محمد عناية الله أسد، إمعان النظر في نظام الآي والسور (2003م)، دار عمار، عمان، الأردن.
22. السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (ط1، 1403هـ)، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان.
23. سيد قطب، في ظلال القرآن، (2003م، القاهرة: دار الشروق).
24. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، معتزك الأقران في إعجاز القرآن (1408هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
25. الصّغير، د. محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن (1420هـ) دار المؤرخ العربي - بيروت.
26. عبد الله، د. أحمد عبد العزيز محمد، التقديم والتأخير عند النحاة العرب، 1411هـ، دار التركي، طنطا.
27. عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، 1419هـ، دار الفضيلة، القاهرة، مصر.
28. عرفة، للدكتور بسيوني، الفصل والوصل؛ 1326هـ، مكتبة الرسالة، القاهرة.
29. عظمي، فضيلة، التناسب السياقي ومستوياته في تفسير التحرير والتنوير: مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، العدد 7، 2018م.
30. الغزالي أبو حامد، جواهر القرآن (2008م)، بيروت: دار الكتب العلمية
31. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، العين، دار ومكتبة الهلال.
32. القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن (1421هـ) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
33. القيسي، عودة الله منيع، سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، دار البشير للنشر والتوزيع، ط 1، 1416 هـ . 1996 م.
34. الكرمانى، محمد أبو القاسم، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، دار الفضيلة، د.ت.
35. الكرمانى، محمد أبو القاسم، البرهان في متشابه القرآن، 1411هـ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة.
36. كطان، م. م. نجاح حسين، التأثير الروحي للصوت في القرآن الكريم (2021م) جامعة وارث الانبياء / كلية العلوم الاسلامية / قسم علوم القرآن (ملخص)

